المعنى الاجتماعى للمكتبة(*)

عرض وتحليل
محمد سالم غنيم
مدرس المكتبات والمعلومات المساعد
جامعة القاهرة – كلية الآداب
m-salem 98@ hotmail.com

المكتبة العامة مؤسسة ثقافية وتثقيفية تقوم بأدوار عده خدمة لمرتاديها / لروادها ، فهى تحفظ التراث الثقافى الإنسانى والحضارى ، على المكتبة أن تنظم هذا التراث ، ليكون فى خدمة القراء الذين يمثلون كافة الطبقات الاجتماعية والمهنية ، وعلى اختلاف المستويات العلمية والتعليمية والثقافية والفكرية .

تعمل المكتبة العامة على تعليم وتربية جيل مثقف واعٍ قادر على تحمل المسئولية فى المستقبل، وبناء المجتمع على أساس من قيم العمل والعلم .

وتعمل المكتبة العامة على تهيئة جيل مثقف ، يتسلح بالعلم والثقافة ، ويعتمدها أساساً سليماً لإحداث التغيرات الحيوية ، واضعاً نصب عينيه المعرفة العلمية والأسلوب العلمى فى التفكير والتحليل ، وخدمة أهداف الأمة ، والقضاء على ما التصق بها من جمود التخلف والانحطاط .

كما تعمل المكتبة العامة على غرس القيم الروحية والوطنية والإنسانية الأصيلة كالصدق والشعور بالمسئولية والإيثار والتضحية والوفاء ، وذلك من خلال القدوة الحسنة والأساليب الفعالة غير المباشرة ، كما تؤكد على أهمية قيمة العمل الجماعى ، ودور الجماعة ، دون اغفال أهمية المبادرات الفردية المخلصة فى إطار خدمة المجتمع .

وفى هذا الإطار يأتى هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الأهمية ، فبالرغم من أنه لا يتعدى ٢٠٤ صفحة من القطع المتوسط ، إلا أنه يحمل بين دفتيه الكثير والكثير من الأسس والمبادئ التى تستند إليها المكتبات العامة ، والمدرسية فى ذات الوقت .

ولقد توفر على تأليف هذا العمل المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد أنور عمر أستاذ المكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة وهو غنى عن التعريف ،

(*) أحمد أنور عمر . المعنى الاجتماعى للمكتبة : دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية . – القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٧ . – ص ٢٠٤ ، تدمك : 1 - 230 - 281 - 977 .

فهو من الرعيل الأول لأساتذة المكتبات فى مصر والعالم العربى ، وصاحب أول دراسة علمية عن المكتبات العامة أجازتها جامعة القاهرة عام ١٩٦١ لدرجة الدكتوراه بعنوان : **الخدمة المكتبية العامة فى الإقليم المصرى** والتى هى فى الوقت ذاته أول رسالة علمية يجيزها قسم المكتبات والوثائق والمعلومات الذى يمتد عمره الآن ما يزيد على نصف قرن بقليل (١٩٥١ –) .

ولقد جاء هذا الكتاب الذى نعرض له اليوم فى قسمين ؛ الأول : رسالة المكتبة ، والثانى : المكتبة فى المدرسة .

يشتملان على ثمان فصول بواقع أربعة فصول لكل قسم . هذا فضلا عن قائمة مختارة بالمصادر التى اعتمد عليها المؤلف ، ونحاول فيمايلى التعرض للقسم الأول من هذا الكتاب ، والذى يتناول المكتبات العامة .

القسم الأول : رسالة المكتبة العامة

ولقد مهد لهذا الجزء بمقدمة كان عنوانها : **المكتبة العامة قوة إيجابية فى المجتمع** ، رصد فيها ذلك الدور الذى قامت به وتقوم به المكتبات العامة على مدار التاريخ ، حيث كانت الزعامات من كل نوع تستخدم الكتب كإحدى وسائل نشر الأفكار وحفضها وتناقلها وتوارثها ؛ فكان الكهنة والساسة فى العالم القديم ومن بعدهم الفلاسفة والأنبياء والشعراء ، ثم رجال العلم والدين .. فيما بعد . ولكن حين تعقد النظام الاجتماعى والجهاز الاقتصادى والثقافى والسياسى فاستتبع كل منها تطوراً فى توزيع المسئوليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى أنظمة متداخلة ومتشابكة ، بحيث تشمل كل المجتمع الذى يتحمل كل فرد من أفراده جزءاً من المسئولية ؛ حيث حدث هذا أصبحت المكتبات العامة التى تقرب المعرفة لكل طبقة من طبقات المجتمع ضرورة لا معين عنها . كما أصبحت المدرسة من قبل ضرورة لا غنى عنها لكل أبناء هذه الطبقات جميعاً .

وقد مضت حوالى مائة سنة من التجربة المتصلة التى نتج عنها نظام المكتبات العامة بشكلها الحالى ، فأصبحت المكتبة العامة أداة من أهم أدوات المجتمع الحديث وأقلها من حيث التكاليف ، وأثبتها من حيث الفائدة ... ومنذ أن بدأت النظرة إلى المكتبات العامة تتشكل باتجاهات العدالة الاجتماعية أصبحت الأفكار والمعلومات فى متناول جميع أفراد المجتمع بالتساوى ودون مقابل ، بصرف النظر عن مهنة الفرد ، أو عقيدته ، أو طبقته ، أو جنسه ، أو لونه .

وقد انتشر فى معظم أنحاء العالم ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، احساس بالرغبة ، بل الضرورة الملحة للتعلم واكتساب الخبرات والمهارات والمعلومات . لم يعد مستغرباً أن نلقى فى أى جزء من أجزاء العالم اهتماماً خاصاً بالمكتبة العامة وبخدمات المعلومات المقدمة للمجتمع بأكمله كوسيلة من وسائل إرضاء هذه الرغبة فى الحصول على المعلومات ونقل المعرفة .

ثم انتقل المؤلف ليعالج : أهداف المكتبة العامة ، والتى حصرها فى عدة نقاط ؛ لعل أهمها :

(١) الخدمات التعليمية للمكتبة العامة .

(٢) محو الأمية .

(٣) التكوين السياسى لأفراد المجتمع الديمقراطى .

(٤) المساعدة فى قضاء وقت الفراغ بشكل أنفع وأكثر جدوى للفرد والمجتمع .

(٥) اكساب المواطن عادة القراءة .

(٦) المساهمة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية واكتساب المهارات الفنية اللازمة للصناعات الحديثة .

ثم يعرج المؤلف لعرض وسائل المكتبة لتنفيذ أهدافها ، ويتأتى ذلك من خلال العديد من الوسائل ، منها : إقامة معارض صغيرة للكتب والمطبوعات ، وطباعة قوائم للقراءات ، وعقد جلسات البحث والمناظرة ، وإعداد المحاصرات ، وعرض الأفلام .. كل هذه الوسائل من شأنها أن تستثير ميول القراء .

ثم يقدم فى الفصل الأول الموسوم بعنوان : إعداد الخدمة المكتبية على نطاق قومى تخطيطاً لخدمات المكتبات العامة على المستوى القومى ، ومتناولاً فيها منظومة المكتبة العامة ، وسياق البيئة التى تحيط بها المتمثلة فى المجتمع ، وما يمليه هذا المجتمع على تلك المكتبة من تأثيرات ؛ حيث تتشكل الخدمات المكتبية لتلبية احتياجات المجتمع الذى تقوم على خدمته ، فالمكتبة العامة فى دولة مثل مصر سوف تكون من نوع متميز يخالف ما نراه فى الدول الأخرى ، هذا على الرغم من أن أهدافها الأساسية تتشابه مع أهداف الخدمة المكتبية عندهم . ويتساءل المؤلف كيف يتيسر للمكتبة المعرفة الدقيقة لظروف البيئة التى تخدمها المكتبة ، وتريد أن تتخذ لنفسها مكانة ومركز للقيادة الفكرية والاجتماعية ؟ هذا وقد أجاب المؤلف على ذلك التساؤل أن ذلك يتم من خلال الدراسة الدقيقة للبيئة المحيطة بمختلف جوانبها : التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية .

ثم ينتقل المؤلف إلى **الفصل الثانى** الذى كان عنوانه : **التعاون بين المكتبات** ، تحدث فيها عن إنشاء إدارة حكومية مركزية تشرف على شئون المكتبات العامة ، والتوسع المكتبى يكون من أغراضها وضع مستويات أو مواصفات محددة للأثاث ، وأدوات العمل المكتبى ، ووضع مستويات للخدمة المكتبية ، والإعداد المهنى لأمناء المكتبات ، وإنشاء مكتبات تجريبية ، والمشاركة الإيجابية فى إنشاء مراكز ببليوجرافية إقليمية .. أو على الأقل مركز قومى واحد . كل هذه العمليات والإجراءات المقصود بها ضمان مستويات محددة موحدة نقلل بقدر الإمكان من الفروق المخلة بين المكتبات العامة على اختلاف أنواعها واختلاف حظها من النضج والصلاحية . ثم يذكر المؤلف أغراضاً أخرى لتلك الإدارة المركزية ، كالإشراف على تنظيم تبادل الإعارة وتبادل المطبوعات بين المكتبات ، وكذلك تنظيم وسائل النقل الفوتوغرافى للمطبوعات التى لا تعار ، هذا فضلاً عن التعاون فى مجال خدمة المراجع .

أما الفصل الثالث : دور المكتبات العامة فى تعليم الكبار ، ركز فيه المؤلف على الدور الاجتماعى والثقافى للمكتبات العامة فى تعليم الكبار وتثقيفهم ، والمقصود بتعليم الكبار هنا لا يقتصر على تعليمهم الكتابة والقراءة كمبتدئين ، وإنما المقصود رعايتهم بعد ذلك ، ورعاية رغبتهم فى تعلم مادة جديدة ، وقراءة مواد تحافظ على

مقدرتهم على القراءة التى اكتسبوها حديثاً . إذن فدور المكتبة ليس قاصراً على أن تتولى نقل الأفراد من الأمية إلى معرفة القراءة والكتابة ، إذ ليست هذه الوظيفة أصلاً من اختصاص المكتبة العامة فإنها لا تعلم الأفراد القراءة والكتابة بل تترك ذلك للمدارس ولمعاهد مكافحة الأمية . وإنما تبدأ أقل مستوياتها بحديثى التعلم حين يأتيها الأفراد وقد تعلموا القراءة والكتابة فعلاً ، وهَمّ المكتبة حينئذ ألا يفقدوا هذه المهارة الجديدة . ثم تتدرج المستويات فى الارتفاع فنجد أن هناك وسائل تعليم الكبار ليس همها فقط حديثى التعلم ، بل إن عبارة (تعليم الكبار) يدخل فيها أيضاً التثقيف أو التعليم الذاتى لكل ناضج أو مكتمل النمو أيّاً كانت دراسته السابقة .

هذا وتصادف المكتبة أنواع عدة من نشاطات تعليم الكبار مثل :

(١) مكافحة الأمية Literacy Campaigns .

(٢) التعليم الأساسى Fundamantal education

(٣) التعليم المستمر .

(٤) التدريب أثناء الخدمة In Service training

(٥) الدراسات الحرة ... وغيرها .

ويؤكد المؤلف فى نهاية هذا الفصل أن عصر السلبية المطلقة للمكتبة العامة قد انتهى مع بزوغ القرن العشرين ؛ حيث يجب على المكتبة أن تواجه النمو المطرد لحاجة القراء إلى الكتب ، وأن تستجيب لكل ما يطلبه هؤلاء القراء حديثى التعلم ، ويتأتى ذلك من خلال عدة جهود تبذلها المكتبة ، مثل : سياسات التزويد ومعايير اختيار الكتب ، إجراء دراسات لميول القراء ، التحول إلى الرفوف المفتوحة ، وإنتاج قوائم المطالعات ، وإقامة معارض الكتب ، التركيز على دور مرشد القراء Reader's Guide وتنظيم هذه الخدمة ، وإقامة المحاضرات والمناظرات وحلقات البحث .. وغيرها من الخدمات الأخرى التى تبرز بها المكتبة إلى القراء بدلاً من انتظارهم .

الفصل الرابع : العلاقات العامة للمكتبات العامة ؛ وفيه يعرف المكتبة العلاقات العامة ، التى تشمل طريقين متميزين ينساب فيهما نشاط المكتبة ؛ الأول : هو تعريف سياسة المكتبة للجمهور ، الثانى : هو التعرف على استجابات الجمهور لجهود المكتبة ، سواء أكانت هذه الاستجابة قائمة فعلاً أو محتملة الحدوث .

ولتفسير هذه العملية المزدوجة (التعريف والتعرف) يقول المؤلف : إن إدارة العلاقات العامة وتوجيهها فى الوقت الحاضر تعنى وظيفتين أساسيتين :

أولاً : يعد تجميع المعلومات عن اتجاهات الرأى العام. وعن الوحدات الاجتماعية الداخلة فى تكوين البيئة المحيطة بالمكتبة . وعن الأحداث العامة التى تؤثر فى حياة تلك البيئة – بعد تجميع هذا كله تشكل سياسة المكتبة وفقاً لتلك المعلومات .

ثانياً : تقديم السياسة الناتجة عن هذه الدراسة الاجتماعية بطرق مناسبة إلى الجمهور من خلال الوسائل المختلفة للاتصال بهذا الجمهور .

ثم ينتقل المؤلف إلى عرض الأهداف المختلفة للعلاقات العامة مستعرضاً بذلك ستة أهداف

مختلفة ، ثم يعرض خطوات إعداد برنامج العلاقات العامة ، ثم ينتقل إلى وسائل تحقيق ذلك ، من دعوة مكتبية ، ولوحة الإعلانات فى مدخل المكتبة وجماعة أصدقاء المكتبة ، ونشرة المكتبة وغيرها من وسائل ربط المستفيدين بالمكتبة .

وفى النهاية يجدر بكاتب هذه السطور أن يشيد بهذا العمل القيم الذى أُلف فى فترة مبكرة من تاريخ الأدبيات العربية فى المكتبات والمعلومات ، وهو بهذا يسبق عصره ، عارضاً لقضايا التعلم الذاتى ، والتدريب أثناء الخدمة ، والدراسات الحرة ، والعلاقات العامة ودور المكتبة لتفعيل دورها فى طريقها نحو الإيجابية .

كما جاء هذا الكتاب أنيقاً من حيث الإخراج خالياً من الأخطاء الطباعية . فهو بذلك قد حقق المعادلة الصعبة : متانة المحتوى ، وجوده الإخراج .

obeikandl.com

obeikandl.com